من الشعر المنثور

أحبك أيها الشتاء !

للأستاذ خليل هنداوى

« ألف أدباؤنا أن يكرهوا الشتاء لأنه فصل قاتم الأحشاء ، يفرون من جوه الثقيل ولا يسعون شعره ينفذ إلى قلوبهم ، ولكنى أراني تدفعني إلى لقاء الشتاء دوافع لا أستطيع لها دفعاً ، وقد أترك القطر الذى لاتظهر فيه آثار الشتاء كثيراً إلى قطرى الذى تتجلى فيه »

« خ . ه »

أحبك أيها الشتاء !

أحب غيومك المتناطحة فى الأعالى ، تغشى السماء فتحجب زرقتها عن العيون ، وتسطو على النور فتتركه قاتم الأحشاء

أحب خيوطك المتواصـــلة التى لا تنقطع ، كأنها أغنية السماء للغبراء

أحب طيورك السوداء النازحة ، هائمة بين الأشـجار الجرداء ، أو محلقة فى الأجواء

أحب أشجارك العارية لأنها خلعت ثياباً قديمة وطرحت أوراقاً ذاوية ، تاركة لغيرها حق النماء

أحب عصافيرك التى تتوارى فى الغيوم المدلهمة وقد صرفها التأمل عن الغناء

أحب هامات الجبال المكتسية بالثلوج ، وبطونها التى فى كل منحدر منها ساقية تغنى ، وفى كل منبطح جدول له خرير

أحب رائحة الأرض التى تنم عن كنوز تنطوى عليها فأنعم نفسى بشذاها ، وأملأ قلبى من طيب ثراها

* * *

أحبك حيثما كنت أيها الشتاء !

أحبك وأنت تزجى إلى مدينتى الفيوم السوداء

تطرح على غامرها وعامرها شباكاً من خيوطك المتواصلة

فما يبالى العاملون بك ، ولا يفر الساعون منك ؛ يمشون سراعاً تحت شباكك إلى العمل الذى يناديهم !

أحب هذه الحجب القاتمة التى يطرحونها على أبدانهم يتقون بها برد الشتاء

إنهم يريدون أن يصافحوك تحت هذه السرابيل ولا يريدون منك فراراً

أحبك وأنت تغشى مدينتى لأننى أرى قلبها ينبض ويخفق بهؤلاء المتزاحمين صفوفاً متراصة فى كل شارع ؛ تدوى أصواتهم فى قلبك وقد كانت هامدة ، وتعلو حركتهم فى جوك وقد كانت خامدة

أحب أنفاسك المتراكمة على المدينة حابسة أنفاسها فيها ...

أتروّح هذه الأنفاس فلا أجد إلا نفساً واحـداً ، وأنت لو ميزت هذا النفس لرأيت أنه خليط من أنفاس متباينة ؛

أنفاس زفرت من صدور عاملين بائسين ؛ وأنفاس خرجت من رجال ونسوة مرحين

كلها صدتها أنفاسك تحت غيومك ، فردتها إلى المدينـة نفساً واحداً ، أكاد — إذا تروحته — أن أقول : هذا نفس عاشقة تترنح ! وهذه زفرة بائس يتروح !

ولكنى لا أجدها إلا نفساً واحداً ممتزجاً ! يعبق فى جو المدينة ، وينسل إلى دور المدينة

فنهارك الحائل متحرك ، وليلك الحالك متحرك

* * *

هذه الحركة هى أبرز مظاهرك وخير ظواهرك ، تنشأ وتنمو فى حضنك أيها الشتاء !

أحب حركتك التى تدل على ثورة الأرض والسماء فيك ، فكل شىء فيهما وبينهما ثائر يتحرك !

توحى غيومك المتناطحة معنى الحركة ، وتهـدى عواصفك الثائرة ورياحك الجائرة إلى الحركة ، وتعلن فى كل مكان نزلت فيه الحركة . . .

* * *

أقم ما شئت يا شتاء !

ولتدلهم — ما شاءت — غيومك !

فأنى أحببت كل اضطرابك ، وأنست باصطخابك

يا علامة النفس الحية الثائرة !

خليل هنداوى